



صورة الزوجة

في قصص سعد أبو الرضا

كتب الدكتور سعد أبو الرضا مجموعتين قصصيتين، هما: (الحياة تتجدد)^(١)، و(الذي لا يُقهر)^(٢). «وقد توزعها هَمَّان كبيران لا ينفصلان بطبيعة الحال، هما: الهم القومي العربي، والهم الاجتماعي الإنساني»^(٣). وسنتناول هنا الهم الاجتماعي، حيث نجد الكاتب في قصصه يهتم «بمعالجة القضايا الاجتماعية المتعلقة بالأسرة، وعلاقة الزوج والزوجة، وتأثير هذه العلاقة على الأولاد إيجاباً وسلباً»^(٤). وضمن هذا الاهتمام بالقضايا المتعلقة بالأسرة والعلاقات الزوجية، رسم لنا الكاتب صوراً مختلفة لبعض الصفات السلبية والإيجابية في الزوجة، بغية الحث على التحلي بها أو التنفير منها والحث على اجتنابها. وسنحاول في هذه القراءة أن نستعرض صورة الزوجة كما رسمها المؤلف في هاتين المجموعتين القصصيتين.



د. عبد الحكيم الزبيدي - الإمارات

هذه القصص، سنجد أنها في مجملها صور سلبية، تصور صفاتٍ ذميمة في الزوجة، هدف الكاتب من خلالها إلى تحذير الزوجات والأزواج من هذه النماذج، من خلال المبالغة في وصفها وتصويرها من جانب واحد بغية التنفير والتحذير منها. وقد أشار الكاتب إلى

تحتوي المجموعة الأولى على عشر قصص، بينما تحتوي المجموعة الثانية على إحدى عشرة قصة قصيرة، سبع منها تتناول صفات الزوجة، اثنتان في المجموعة الأولى، وخمس في المجموعة الثانية. وإذا حاولنا تتبع الصورة التي رسمها الكاتب للزوجة في

من أن تعطف على الفقراء الذين يعانون مما كانت تعاني منه، عملاً بقول الشاعر:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا

من كان يألفهم في الموطن الخشن

فنجدها تنشئ أبناءها على حياة المترفين، فتغير من لغتهم، فالأم يجب أن ينادوها (مامي)، والأب (بابي)، والجدة (تيتا)، وتخفي أصلها الفقير، وتبالغ في التظاهر بأنها من أسرة غنية، وأن والديها من الأغنياء، وكانت تعطي الهدايا الثمينة التي يجلبها لها زوجها لأمرها على أنها منها. وحين يكتشف الزوج ذلك ندمت على ما فعلت، واعتذرت لزوجها وأحست أنها ولدت من جديد.

ابتزاز الزوج:

الصفة الذميمة الثالثة هي كثرة المطالب التي ترهق كاهل الزوج، أو ما أطلق عليه الكاتب، وجعله عنواناً للقصة: (ابتزاز)^(٨). فالزوجة رغم أنها تقيم في شقة اشتراها زوجها وكتبها باسمها، إلا أنها تطالبه بأن يشتري لها شقة أخرى في البلدة التي تقيم فيها أمها، رغم أنها تملك شقة ورثتها عن أبيها في تلك البلدة، وحين يعجز عن تلبية طلبها تهجره، وتقيم مع أمها التي تشجعها على سلوكها الغريب هذا، وتطلب منه إما أن يحقق طلبها أو أن يطلقها، ويقف الرجل حائراً لا يدري ماذا يصنع؟! فهو يحب زوجته ولا يرغب في تطبيقها ولكنه يضيق ذرعاً بابتزازها له.

نكران العشير:

الصفة الذميمة الرابعة هي نكران العشير،

أنه يهدف من وراء هذه القصص إلى (التغيير والإصلاح والإمتاع)^(٩).

الخيانة:

أولى هذه الصفات وأبشعها هي الخيانة، حيث تصور قصة (المصباح الأحمر)^(١٠)، الزوجة الموظفة التي تمارس الرذيلة مع مديرها في العمل الذي كان يضيء المصباح الأحمر عندما يختلي بها، وكان زوجها قد شك في سلوكها حين كان يتصل بها في عملها فلا ترد عليه بحجة أنها مشغولة، وحين فاجأها بالزيارة لم يجدها على مكتبها، وحين سأل عنها علم أنها في مكتب المدير، وحين رأى المصباح الأحمر مضاء؛ شك في الأمر، فاقتحم عليهما المكتب ليرى الوضع الشائن الذي كانا فيه، فما كان منه إلا أن طلقها في الحال. والكاتب يدعو من خلال هذه القصة الأزواج إلى متابعة زوجاتهم العاملات من خلال الاتصالات المتكررة والزيارات المفاجئة. والمفارقة أن الكاتب أطلق على هذه الزوجة اسم (فضيلة) وهي

أبعد ما تكون عن الفضيلة، وكأنه يلفتنا إلى أن لا نغتر بالمظهر، وأن نحكم على الإنسان من مخبره لا من مظهره.

عدم شكر النعمة:

الصفة الثانية هي التكر للماضي ونسيان أيام الفقر والفاقة، وعدم شكر النعمة التي من الله بها على الزوجة، إذ رزقها بالزوج الذي جعلها تعيش في ترف ونعيم بعد أيام الشقاء والعذاب. ففي قصة (ميلاد جديد)^(١١) نجد الزوجة تتناسى ماضيها بدلاً





يكون قد أصابها مرض نفسي، ولذا يعزم على أن يعرضها على طبيبة نفسية.

كثرة الشكوى:

الصفة الخامسة التي تناولتها قصة (زواج على ورقة طلاق)^(١١)، هي كثرة الشكوى من الزوج إلى درجة طلب الزوجة الطلاق منه أو (الخلع) دونما سبب محدد بحجة أنها تكرهه ولا تريده. والقصة عبارة عن سبعة أسطر، هي حوار بين الزوجة، والأم، والأخت الأولى، والأخت الثانية، فالزوجة تعلن رغبتها أنها تكرهه، والأم والأختان يشجعانها على طلب الطلاق منه، فتعلن أنها سترفع قضية خلع. والكاآب في هذه القصة القصيرة جداً، يشير إلى تعسف بعض الزوجات في طلب الطلاق لأنقته الأسباب، ويؤكد على دور الأسرة التي من المفترض أن ترد الزوجة إلى الصواب إن أخطأت، ولكن الذي حدث في القصة، ويحدث مع الأسف في كثير من الأسر، هو أن الأم والأختين شجعن الزوجة على طلب الطلاق بدلاً من

فالزوجة في قصة (الآمن)^(٩) تطالب زوجها بآمن رعايتها له ولأولاده، وتكر أفضاله عليها، ولا تحمد الله على ما رزقهما من أبناء، وما يعيشون فيه من نعيم، فهي تقيم في (فيلاً) ولديهما سيارتان، وعندهما خادمة وسائق، ولكنها تقول لزوجها: «يمر أمامي شريط حياتي معك، علني أجد نقطة مضيئة فلا أجد فيه إلا ظلاماً دامساً»^(١٠). ورغم الرحلات الخارجية التي سافرا فيها إلى أوروبا وتركيا، وتقلهما داخلياً بين أبها والطائف



أن يرددنها إلى الصواب.

عدم الثقة في الزوج:

الصفة السادسة هي الشك في الزوج وعدم الثقة فيه، وتصورها (حنان) في قصة (الحب والسيارة المهشمة)^(١٢) التي كانت تلح على زوجها أن يشتري سيارة ويسجلها باسمها، وقد فعل الزوج المحب ذلك عن طيب خاطر، ولما كان الزوج بحاجة إلى توكيل من زوجته للسماح له بقيادة السيارة، فقد

والمنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية حيث يقيمان، إلا أنها ترى أن زوجها مقصر في حقها ولم يوفها ما تستحق من آمن لما تقدمه له ولأولاده من رعاية واهتمام، وهو لا يدري كيف يجعلها ترضى؟! إنها مثال للمرأة التي تكفر العشير، وتكر الإحسان، وترى الزوج مقصراً معها رغم ما تعيش فيه من نعيم يحسدها عليه غيرها. ولا يجد الزوج تفسيراً لتصرفها هذا إلا أن

هناك زوجات يتحلين بصفات مذمومة، إلا أن هناك منهن من يتحلين بالصفات الرائعة، ويأتي دور الرجل في البحث عن ذات الصفات الجميلة، وتجنب ذات الصفات السيئة. وبذلك تكون هذه القصص «من الأعمال القصصية النظيفة التي تأخذ بيد الإنسان وتقدمه بهدوء حرصاً على الأخوة بين الأصدقاء، وحفظاً للبيت من الانهيار»^(١٦).

قراءة فنية:

الملاحظ أن الكاتب يجعل معظم أبطال قصصه غفلاً من الأسماء. ففي القصص الخمس التي تناولت موضوع الزوجة في المجموعة الثانية، لم نجد للزوجات أسماء باستثناء (فضيلة) التي كانت تمارس الرذيلة في قصة (المصباح الأحمر)، وزوجها (أحمد)، نجد الزوجة في بقية القصص بدون أسماء، وكذلك الزوج الذي لم يحمل هو الآخر اسماً، ما عدا في قصتين هما: (المصباح الأحمر)، و(ابتزاز) واسمه فيهما (أحمد). ولعل الكاتب يقصد من هذا أن هذه الحالة عامة

في كثير من النساء، وليس في زوجة بعينها، بحيث لو حدد اسمها لظن القارئ أنها حالة خاصة تخص تلك التي ورد اسمها في القصة. ولعل في إعطاء الزوجة في قصة (المصباح الأحمر) اسماً هو (فضيلة)، تأكيد من الكاتب على أن هذه الصفة (الخيانة الزوجية) قليلة جداً في الزوجات، كما أنه ربما قصد إلى المفارقة بين اسمها وفعلها الشنيع، إشارة إلى أن المظاهر قد تخدع أحياناً عن الحقيقة، كما أشرنا من قبل.

طلب منها ذلك، وحين سألها الموظف المختص، عما إذا كانت تريد أن تعمل لزوجها توكيلاً بكامل التصرف في السيارة أم بالقيادة فقط، ردت «(حنان) بشدة: بالقيادة فقط طبعاً»^(١٣)، مما جعل الزوج ينصدم فيها، حيث «كان يظن أن الحب الشديد بينهما سوف يكون فوق كل الشكليات»^(١٤)، ولكنه يكتم الأمر في نفسه، ويقرر شراء سيارة أخرى خاصة به.

الوفاء:

وفي مقابل هذه الصفات السلبية التي ركز عليها الكاتب بغية التحذير منها، كما أسلفنا، فقد أبرز أجمل صفة إيجابية في الزوجة وهي الوفاء، وتمثل ذلك (أمل) في قصة (وفاء قبل الموت وبعده)^(١٥) التي كانت وفية لزوجها في حياته، ولم تكتف بذلك، بل استمر وفاؤها له بعد وفاتها، حيث أوصته بأن يتزوج زميلتهما في العمل (سامية) التي كانت من أخلص صديقاتها، والتي اهتمت برعايتها في مرضها، وأوصتها هي بأن تقبل به زوجاً لها، لأنها لمحت في عينيها شيئاً من التقدير والاهتمام بزميلهما في العمل (سعيد) الذي لم تكن تعرف أنه زوج (أمل)، وحين عرفت شعرت بالخجل من نفسها، لكن (أمل) لم تؤاخذها على ذلك، بل أوصتها وهي على فراش الموت أن تقبل الزواج منه بعد وفاتها.

وهكذا قابل الكاتب بين هذه الصفة الإيجابية الرائعة وبين بقية الصفات السلبية التي ذكرها في الزوجات السابقات، وذلك ليقول لنا: إنه وإن كانت





بدورها أن تقديم المؤلف كان تعبيراً عن موقفه ورؤيته»^(١٧).

وتمتاز هذه القصص بالبساطة وسلاسة الأسلوب والوضوح^(١٨)، «ولعله في سبيل هذا الحرص على الوضوح-، يلح أحياناً على كثير من التفاصيل التي يمكن أن ترهق كاهل القصة القصيرة»^(١٩). كذلك تمتاز بالرؤية الأحادية، «إذ تمثل في بناء شخوص القصص كلها بعد واحد»^(٢٠)، «وجاءت الشخوص والبناء الفني للحدث في أسلوب هادئ يعبر تعبيراً صادقاً عن المتغيرات في الحدث، وفي بناء الشخصية، وعن الثوابت التي يمكن أن يفهمها المتلقي من العمل الذي بين يديه»^(٢١).

رحم الله الدكتور سعد أبو الرضا، فقد كان أدبه، «من الأدب الجاد الذي يهتم بالتنظير له، والكتابة عنه»^(٢٢)، ونسأل الله تعالى أن يجعل ما قدم في ميزان حسناته ■

أما في القستين اللتين وردتا في المجموعة الأولى، فقد أعطى الكاتب الزوجة التي لا تثق في زوجها اسم (حنان)، وهذا أيضاً من المفارقة، فلم يكن في تصرفها تجاه زوجها، ورفضها عمل توكيل له بكامل التصرف في السيارة أي حنان. كذلك أعطى الكاتب الزوجة الوفية اسم (أمل)، وهو اسم يدعو إلى التفاؤل رغم أن حياتها كانت قصيرة، ولكنها كانت تأمل أن تسعد زوجها، وذلك بأن اختارت له صديقتها الحميمة (سامية) التي يدل اسمها على سمو أخلاقها، ووفائها لصديقتها، حيث لازمتها خلال مرضها، وكانت تزورها كل يوم، وتخدمها حتى لم تجعلها تحتاج لخدمة، اختارتها لتكون زوجة له من بعدها. والملاحظ أن اسم (أمل) «يتكرر عند المؤلف في المجموعة، وهذا يتفق بالطبع مع توجه شخصيات الأعمال كلها التي تؤكد

الهوامش:

- المجموعة، أبو الرضا، سعد: الحياة تتجدد، مرجع سابق، ص ٤٩.
(١٨) سغفان، إبراهيم: قراءة في هذه المجموعة، أبو الرضا، سعد: الذي لا يُقهر، مرجع سابق، ص ٦٣.
(١٩) قصاب، وليد: قراءة أخرى في هذه المجموعة، أبو الرضا، سعد: الحياة تتجدد، مرجع سابق، ص ٥٦.
(٢٠) السعدني، أحمد: قراءة في هذه المجموعة، أبو الرضا، سعد: الحياة تتجدد، مرجع سابق، ص ٥١.
(٢١) المرجع السابق، ص ٥٢.
(٢٢) قصاب، وليد: قراءة أخرى في هذه المجموعة، أبو الرضا، سعد: الحياة تتجدد، مرجع سابق، ص ٥٤.

- (٧) المرجع السابق، ص ٢٥.
(٨) المرجع السابق، ص ٣٩.
(٩) المرجع السابق، ص ٤٩.
(١٠) المرجع السابق، ص ٤٩.
(١١) المرجع السابق، ص ٥٣.
(١٢) المرجع السابق، ص ٢٨.
(١٣) أبو الرضا، سعد: الحياة تتجدد، مرجع سابق، ص ٣١.
(١٤) السعدني، أحمد: قراءة في هذه المجموعة، أبو الرضا، سعد: الحياة تتجدد، مرجع سابق، ص ٥٠.
(١٥) أبو الرضا، سعد: الحياة تتجدد، مرجع سابق، ص ٢٢.
(١٦) سغفان، إبراهيم: قراءة في هذه المجموعة، أبو الرضا، سعد: الذي لا يُقهر، مرجع سابق، ص ٥٦.
(١٧) السعدني، أحمد: قراءة في هذه

- (١) أبو الرضا، سعد: الحياة تتجدد (مجموعة قصصية)، د. ن، ٢٠٠٥ م.
(٢) أبو الرضا، سعد: الذي لا يُقهر (مجموعة قصصية)، دار المصطفى للطباعة، بنها، ٢٠٠٧ م.
(٣) قصاب، وليد: قراءة أخرى في هذه المجموعة، أبو الرضا، سعد: الحياة تتجدد، مرجع سابق، ص ٥٤.
(٤) سغفان، إبراهيم: قراءة في هذه المجموعة، أبو الرضا، سعد: الذي لا يُقهر، مرجع سابق، ص ٥٨.
(٥) أبو الرضا، سعد: الذي لا يُقهر، مرجع سابق، ص ٥٠.
(٦) المرجع السابق، ص ٣٥.